في كل ليلة حكاية

٥

إنه يحب الله و رسوله

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل الحرفي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

استيقَظَ (سَامي) صَباحاً وهوَ يَبكِي ، وانطَلقَ إلى سَريرِ والدتِهِ (أمّ سَعيد) فلمْ يجِدْها. خَرجَ إلى الصالُونِ وفَتَّشَ عنهَا... فوجَدهَا أخيراً فِي الغُرفةِ الدَّاخليَّةِ للبيتِ... تَجلسُ على الكرسيِّ الكَبيرِ.. وفوقَ رَأسِها علَّقتْ علـى الجـدارِ صُـورةَ شَـابٍّ يـرتَـدي اللِّبـاسَ العَسكريَّ.. وَفي يديها القرآنُ الكَريمُ.. وعينَاها تذرفُ الدُّموعَ..!!

ولمَّا أَحسَّت بهِ.. وَضعتِ المُصحَفَ على الطَّاولةِ.. وأخذتْ ابنَها في حُضنِها وقالتْ: لِماذَا تَبكِي يا بُنيَّ؟

أَجابَ (سَامي): لقدْ رأيتُ في الرُّؤيا أنَّ رجُلاً عَسكَرياً يَدخُلُ بيتَنَا وهو يَحمِلُ في يديهِ

السِّلاحَ.. ، ثُمَّ أخَذنِي وضَمَّنِي إلى صَدرِهِ.. ثمَّ ارتفع نحو السَّماءِ!

وازدادَ بكاءُ الأمِّ ، وارتفعَ صوتُها بالنَّحِيبِ.. ثُمَّ قَالتْ: صَدَقتْ رُؤياكَ يا سَامي ، فهذا اليومُ هو ذِكرى استشهَاد والدكَ في مَعارِكِ الدِّفاعِ عن الوطَنِ..

وجَلسَ الولدُ في حُضنِ أمِّهِ ، وراحَ يسألُ عن الأُمورِ المتعلِّقةِ بحيَاةِ وَالدِهِ ، بينما كانتِ الأمُّ تُجيبُ عن ذلكَ كلِّهِ...

وفي تلكُم الآونَةِ دَخلتِ الخَالةُ (أمُّ أَحمد) فَرأتْ أختَها في تلكِ الحَالةِ ، فسألتها عن سِرِّ بُكائِها.. فكانَ منها مشاركةٌ في الحديثِ.. حيثُ ذَكرتْ لابنِ أختهَا أخبارَها عن أيَّامِ الزَّواجِ الأُولى.. وعن أيَّامِ السَّفرِ إلى بيتِ اللهِ الحَرامِ لأداءِ الحجِّ والعُمرَةِ ، وعن أيَّامِ المعاركِ الأُولى

ضدَّ المُستعمرِ الغاشمِ.. ، ثُمَّ أَنهَتِ القَولُ:

لقدْ صدقَ رسولُ اللهِ ﷺ عندما قالَ وهو يَحمِلُ ابنهُ إبراهيمَ ، حيثُ حَضَرَتْهُ الوَفاةُ: «إنَّ العينَ لَتدمَعُ، وإن القلبَ ليخشعُ ، وإنَّا على فِراقِكَ يا إبراهيم لمَحزونُونَ ، ولا نقولُ إلا ما يُرضي ربَّنا: إنَّا للهِ وإنا إليهِ راجِعون».

وانتقلَ (سَامي) من حُضنِ أمِّهِ إلى حضنِ خَالتهِ ، وطلبَ منها أن تحكِي لهُ حكايةَ فَارسٍ من فُرسانِ الرَّعيلِ الأوَّلِ..

ووافقتْ (أمُّ أحمد) على طَلبِ (سَامي) لكنْ بِشرطِ أن يُنادي إخوتهُ وأولادَ خالتهِ.. ليَجْتَمِعُوا جَميعاً لسمَاعِ الحِكَايةِ..

وانطلقَ (سَامي) إلى الغُرفِ لينادي الشَّبابَ والبنَاتَ...

وبالفعلِ ما هيَ إلاَّ دقائقُ حتَّى اجتمعُوا في

البُستانِ المُحيطِ بالبيتِ.. وتقدَّمتْ (أمّ سَعيد) بِبَعضِ الحَليبِ المَغليِّ..

ولمَّا شرِبَ (الطَّبيبُ أنور).. قالَ: أجلْ! إنَّهُ حَليبٌ حقاً.. فهنا الحَليبُ صَافٍ وخَالٍ من الغِشِّ آه ما ألذَّ الأمورَ الطَّبيعيةَ وما أنفعهَا...

وبَعدئذٍ راحتْ (أمُّ أحمد) تَحكِي لهم حِكَايتهَا الجديدَةَ:

من السَّابقينَ الأوَّلين..

وتوجَّهتْ (أمّ أحمد) إلى ابنِ أُختِها الصَّغيرِ (سَامي) وقالتْ لهُ: ومَا دامَ اسم أبيكَ عبدُ الله.. فَسَأحكي لكَ اليومَ حِكايةَ واحدٍ من فُرسانِ صحابةِ رَسولِ اللهِ ﷺ وهو (عبدُ اللهِ بن حُذافَةَ السَّهميِّ رضيَ الله عنهُ)...

واستمَعَ الجميعُ إلى الحكَايةِ.. لكنَّ (أسماءَ)

وقفتْ وقالتْ: ولكن لنْ نَستمِعَ إلى هذه الحِكايةِ إلاَّ إذا أَخذنا من وَالدتي وَعداً أن تحكِي لنا حِكايةً أُخرى في المَساءِ.. فقد عوَّدتنا على حِكَاياتِ المساءِ كلَّ ليلةٍ!!

وضَحِكَ الجميعُ.. ووافقتْ (أمُّ أحمد) على اقتراحِ ابنتهَا (أَسماء)..

ثُمَّ تابعتِ الحِكايةَ الصَّباحيةَ قَائلةً:

مَا إن وصلَ خبرُ دَعوةِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى أَسماعِ عبد الله بن حُذافَةَ حتَّى انطلقَ إليه يَستفسِرُ عَن ذلِكَ..

ويشاءُ اللهُ له الهِدايةَ.. ليكونَ منَ السَّابقينَ الأوَّلينَ..

لذلكَ كان من المُهاجرينَ إلى الحَبشةِ ، ثُمَّ كانَ من المُهاجرينَ إلى المَدينةِ المنوَّرةِ.

كانَ يحبّ المزاحَ اللَّطيفَ..

وكانَ من طبيعتِه حبُّ المزاحِ والدّعابةِ، فهوَ الفارسُ المقدامُ الذي لا يهابُ الخُطُوبَ، وهو الرَّجلُ الهادِئُ الذي يُضفِي على الجلسَةِ المَرحَ والدَّعابةَ، من ذلك مَثلاً:

أنَّه رضيَ اللهُ عنهُ جاءَ إلى بَغلةِ رَسولِ الله فحلَّ حزامَها.. ولمْ يتكلَّمْ.. ولمَّا هَمَّ رسولُ الله بالرّكوبِ.. تحَرَّكَ حزامُ البَغْلةِ.. وكادَ الرَّسولُ أن يسقُطَ على الأرضِ.. فضَحِكَ الرَّسولُ وضحِكَ الصَّحابَةُ الكِرامُ.

ولمَّا كادَ بَعْضُهم أن يَعترِضَ على ذلكَ التَّصرُّفِ، إذا بالرَّسولِ يُعطي التَّوجيهَ الرَّائعَ فَيقول: «اتركُوهُ فإنَّ لهُ بِطانةً، يحبُّ اللهَ وَرسولهُ».

ويطلبُ (سَامي) من خالتِهِ أن تُحدِّثَهُم بِواحدةٍ أُخرى من دُعاباتِ عبدِ اللهِ بن حُذافة..

فتقولُ: رَوى أَبو سعيد الخُدريُّ رَضي اللهُ عنهُ قالَ: أَمَّر رسولُ اللهِ ﷺ عبدَ اللهِ بن حُذافة السّهميَّ على سَريةٍ من أصحابِ بدرٍ ، وأنا واحدٌ منهم.. فنزلنا في بَعض الطَّريقِ ، فأوقدُوا نَاراً ، فقالَ لهم: أليسَ لي عليكُم السَّمعُ والطَّاعةُ؟

قَالُوا: بَلى.

قالَ: فلستُ آمُرُكم بِشيءٍ إلاَّ فعلتموهُ؟

قَالوا: نَعم.

قالَ: فإنِّي أَعزمُ عليكُم بِحقِّي وطَاعتي إلاَّ تَواثبتُم في هذه النَّارِ!

فقامَ ناسٌ فتهيَّؤوا ، حتَّى إذا ظنَّ أنَّهم واقعُونَ فيها قالَ: اجلسوا فإنَّما كنتُ أضْحَكُ معَكُم!!

قالَ: فلمَّا قَدِموا على الرَّسولِ ﷺ ذكَروا ذلك لهُ فقالَ: «لَو دخلُوها ما خَرجُوا منها، إنَّما الطَّاعةُ في المَعْرُوفِ».

حامل رسالةِ رَسول اللهِ ﷺ

وبعدَ أن تمَّ صلحُ الحُديبيةِ.. راحَ رَسولُ اللهِ يرسِلُ الكُتُبَ إلى الملوكِ والأُمراءِ ليبلغَهُم حقائقَ هذا الدِّينِ الحَنيفِ.. وكانَ من رسائلِهِ: رسالةٌ حَملها عَمرو بنُ أميةَ الضَّمري إلى النَّجاشِيِّ، ورسالةٌ حَملها دحيةُ بنُ أبي بَلتعَة إلى مُقوقِسِ مِصرَ..

وأمَّا فارسُنا المِغوارُ (عبدُ اللهِ بن حُذافة) رضيَ الله عنهُ فقدْ حَملَ رسالةً إلى مَلكِ الفُرسِ: كِسرَى أبَرويز.

وكانَ نصُّ الرِّسالةِ: «بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ

الرَّحيمِ ، من محمَّدٍ رَسولِ الله إلى كِسْرى عَظيمِ فَارس ، سَلامٌ على من اتَّبَعَ الهُدى ، وآمنَ باللهِ وَرسولهِ ، وَشهِدَ أن لا إلهَ إلاَّ الله ، وأنِّي رسولُ اللهِ إلى النَّاسِ كَافةً ، لأُنْذِرَ من كانَ حيَّاً ، أسلِمْ تسلَمْ فإنْ أَبيتَ فعليكَ إثمُ المَجوسِ».

ولمَّا دخلَ (عبدُ اللهِ بن حُذافةَ) على كِسرى وقدَّم له الرِّسالةَ.. فَقرؤوهَا لهُ ، فَغضِبَ ، ثُمَّ أخَذها فمزَّقَها وقالَ: يكتبُ إليَّ هذا وهوَ عَبدي!!

ثُمَّ كتبَ كِسرى إلى (بَاذان) عامِلهُ على اليمَنِ ، أَن ابعَثْ من عندكَ رجُلينِ قَويَّينِ إلى (محمَّدٍ) في الحجازِ ، فَليأتني بهِ حَيّاً أو ميتاً.

فلمَّا قَدما على رَسولِ اللهِ وأخبراهُ بما فعلَ كِسرى.. قالَ الرَّسولُ: «مَزَّق اللهُ مُلكهُ» ثمَّ قالَ لهمَا:

«أَبلغا صاحبَكُما أنَّ ربِّي قَتلَ ربَّهُ كِسرى في

هذهِ اللَّيلةِ لسبعِ سَاعاتٍ مضتْ منهَا».

وَصدقَت نبوءةُ رَسولِ اللهِ ﷺ ، فقد سلَّطَ اللهُ على كِسرى ابنَهُ فقتلهُ...

وأَنشدَ الفارِسُ البَطلُ ، الشَّاعرُ (عبدُ اللهِ بن حُذافةَ) رضيَ اللهُ عنه:

أبَـــى اللهُ أَن كِســـرى فَـــريسَـــةٌ
لأوَّلِ دَاعٍ بـــالعـــراقِ محمَّـــدا
يُقاذفُ في فُحشِ الجَوابِ مُصغّراً
لأَمرِ الفَريقِ الخَائضينَ لهُ الرَّدى
فقلـــتُ لـــهُ أورِدْ فـــإنَّـــكَ داخـــلٌ
من اليَومِ في بَلوى ومنتَهبٍ غَدا
فأقبلْ وأَدبرْ حيـثُ شئتَ فإنَّنـا
لنا المُـلكُ فابسِـط للمُسالمـةِ يَـدا
وإلاَّ فـأمسِـكْ قَـارعـاً سِـنَّ نَـادمٍ
أقرَّ بـذُلِّ الجـرحِ أو مُـتْ مُوحِّـدا

تَعالوا نُقَبِّل رأسَ عَبد الله بن حُذافَة!!

تَابعَتْ (أمُّ أحمد) حكايتهَا الرَّائعةَ:

وَدار الزَّمنُ دورتهُ ، وفي زَمنِ الفَاروقِ عُمَر رضيَ اللهُ عنهُ جهَّزَ جَيشاً عَظِيماً لمقاتَلةِ الرُّوم.. وَسقَطَ بعضُ المُسلمينَ أَسرى بيدِ الرُّومِ.. وكانَ من بينهِم (عبدُ اللهِ بن حُذافةَ) رضيَ الله عنهُ.

فَحملوهُ إلى مَلِكِهم.. فلمَّا رآهُ قالَ له: يا عبدَ اللهِ هلْ لكَ أن تَنصَّر.. أي تترُكَ الإسلامَ وتعودَ إلى النَّصرانيَّة.. وأُشرِكَكَ في مُلْكِي وسُلطانِي؟

فَنظرَ (عبدُ الله) إلى الملِكِ نظرَةَ استخفافٍ وقالَ: لو أعطيتَني ما تَملِكُ وجميعَ ما مَلَكَهُ العَربُ على أن أرجِعَ عن دينِ محمَّدٍ ﷺ طرفَةَ عينٍ ما فعلتُ...

قالَ الملكُ: إذاً أُعَذِّبكَ.

فَقالَ عبدُ اللهِ: أنتَ وذاكَ.. افعلْ ما تُريد.. فالدُّنيا لاَتُساوِي عندَ اللهِ جَناحَ بَعوضةٍ!

وَبدأ مُسلسَلُ التَّعذيبِ.. فعلَّقوهُ على خَشبةِ الصَّلبِ.. فلمْ يتراجعْ.. فَجاؤوا بِوعاءٍ كَبيرٍ قذرٍ، وَوضَعوا فيه الماءَ وأوقَدوا تَّحتهُ النَّارَ القويَّةَ.. فأمرَ هِرَقلُ أن يوضَعَ أَسيرٌ من المُسلمينَ في الماءِ المَغْليِّ.. وإذا بلحمهِ يَنفصلُ مُباشرةً عن عَظْمِهِ، ثُمَّ قدَّموا (عبد الله) فَبكَى..

فلمَّا أَخبروا هرقلَ قالَ: يا عبدَ الله، لِمَاذا بَكيتَ؟

فَأجابهُ البَطلُ: ذَكرتَ أنَّ لي نَفساً واحدةً، فاشتهيتُ أن يكونَ لي مِئَةُ نَفسٍ تُعذَّبُ في سَبيلِ اللهِ!

فقالَ هِرَقلُ: هل لكَ أن تُقبِّل رأَسي وأُخلِّي عنكَ؟

فقالَ (عبدُ الله): عنِّي.. وعن جَميعِ أُسارى المُسلمينَ.

ووافقَ هرقلُ.. وتقدَّم (عبد الله) من هرقلَ وَقبَّل رأسهُ.. فأطلقَ سَراحَهُ وسراحَ الأسَارى..ولمَّا وَصلوا إلى المَدينةِ المنوَّرةِ وأخبَروا الخليفةَ عُمَر.. قَامَ.. وأمامَ النَّاسِ أخذَ برأسِ عبدِ اللهِ ثُمَّ قالَ: حَقٌّ على كلِّ مُسلمٍ أن يُقَبِّلَ رَأسَ عبدِ اللهِ بنُ حُذافةَ وأنا أَبدأ..

إلى جِنانِ الخُلدِ يا من تحبّ الله ورسولَهُ...

وهَكذا شارَكَ في غالبيَّةِ المَعاركِ والفُتوحاتِ الإسلاميَّةِ.. حتَّى كانَ الجيشُ الإسلاميُّ يفتحُ مِصرَ بِقيادةِ عَمرو بن العَاصِ.. فَشاركَ (عبدُ اللهِ بنُ حُذافةَ) في فتحِ (عينِ شَمس) وَ(الإسكَندريَّة).. وَفي سَنَةِ (٣٣ هـ) أَسلمَ

الفارِسُ الرُّوحَ إلى بَارئِهَا.. وَدُفنَ في مَقابرِ مِصرَ.. ليدخُلَ في صحائفِ الخَالدينَ:

تَشبَّهُوا إنْ لم تَكونُوا مثلهُمْ
إنَّ التَّشبُّهَ بِالكِرامِ فلاحُ

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ